رواية الخنساء

زنوبيا

فسلمتهم حوانجي وتبعت عبداً منهم رابته رئيساً عليهم فاوصلني الى ردهة الاستقبال حيث جلست ارتاح من عناء السفر . وما مكثت قليلاً واخذت انظر في مرآة امامي الى ما انا عليه من وساخة الثياب بداعي اجتياز الطريق واكداد الوجه بسبب حرارة الشمس حتى سمعت من جهة المرمى وقع اقدام لطيفة عرفت انها نسائية فوقفت متجهاً نحو الباب وما هي الا لحظة حتى رايت فوستا الجميلة بين يديَّ وانا اقبلها . فحدثت المولى عَلَى ملاقاتها بهذه الكيفية دون ان يتسنى لي ان افكر قبل اقدامي عَلَى هذا العمل انه غير لائق بي تقبيلها وقد تجاوزت الصغر فهي ليست بعد صبية كما كانت في روما تذهب للمدرسة وراء عبدها . بل هي الآن شابة تامة الحسن والجمال حتى انها توقع الارتباك في نفس اي شاب كان ولو ماثلني بقلة الاهتمام والتأثر ثم قلت لما بخجل زائد وبدها في يدي وقد فارقتني شجاعتي التي كنت اعهدها في نفسي

احقيقة انتِ فوستا الصغيرة ؟ أن في مناخ تدمر اذاً لسحراً . من ستة سنوات فقط تركت روما وكان عمرك اثني عشر سنة ! والآن وقد صرت ....

فقاطعتني وقالت — آه ! مالك ولهذا الحديث . دعنا منه الآن . اني لمسرورة برؤياك . فاهلاً وسهلاً بك ايها العزيز لوسيوس . كيف تركتهم في روما ؟ اولاً صديقك ماركوس ولوسيليا ويورنيا . عمَّ يهم يخبر . كيف حال المعلم المطيقي سولون ؟ هل هو حكيم مثل سميه سولون الكبير ؟ آه ! كم كانت تسرني بساطته وفلسفته لما كنت في روما ؟ لماذا لم تحضره معك ؟ فهو خير « منتور (١) » يرافق في السفر . كم كنت اسر اكثر لو كان معك الان

— قد تركت روما بسرعة زائدة يا عزيزتي فوستا حتى لم يكن لي متسع من الوقت لاجل تجهيز الحاجات الضرورية لسفري ودليلي عَلَى ذلك ان كتابي اليكم وصل هذا الصباح وقد ارسلته قبل سفري بعدة ساعات . وانه لشرف كبير لسولون ولي ان نلي لك امراً ولكن هكذا قضت الظروف . لم اسألك عن ابيك كيف حاله ؟ اليس هو هنا ؟

(١) مخلص تليماك بن اوليس من عدة مهالك - المعرب

— ابي بخير وهو في المدينة لا اعرف ما يعوقه لحد الآن . هن قريب يأتي وتراه . اما الآن فالعبيد يدلونك على غرفك لتذهب وتغير ملابسك ثم تتناول العشاء

قالت هذا وصفقت فحضر عبد حبشي بعمة على راسه شديدة البياض فامرته بخدمتي والاعتناء بي

. فيما انا ذاهب مع العبد قالت لي — اعتني كثيراً بملابسك لاننا هنا في تدمر ندقق كثيراً بان تكون ملابسنا بغاية الكمال عكس الحال في روما

فتبعت العبد وهو يسير من ممر الى ممر حتى وصلنا لجانب بعيد من القصر فقال لي : هنا وضعت لك باعتناء حوائجك معا رايته لازماً لك . وفي الغرفة الثانية سينام عبدك ميلو اما باقي العبيد فهم في الاصطبل . اسمي هانيبال عندما تريدني لخدمة تكرم وتنادني باسمي فاحضر لاني صرت عبدك — قال هذا وانصرف

كانت غرفتي تطل على الشارع الكبير الذي دخلنا منه للمدينة فكنت ارى القوم بين غاد ورائح وانا واقف في احدى الشرفات واسمع اصوات الباعة وهي تنادي . وكثيراً ما وقعت في اذني كلمات مختلفة بلغات لم افهم منها شيئاً . طال وقوفي بقرب الشرفة وانا تائه الفكر مما كنت انظر ومما كنت افكر عن سفري وهل انجح فيهـا . وبينما انا كذلك مشت الافكار انتبهت بصوت ميلو وهو داخل علي وقد لعبت الخمرة دورها به . فطلبت منه ان يساعدني على اللبس حتى اظهر كما تعرف باجمل مظهر امام فوستا . ولما انتهيت من لبسي حتى اتت ساعة العشاء . فخرجت لاذهب للقاعة المعدة له وما كدت اقف امام باب غرفتي حتى اتى هانيبال ليدلني على طريقي وحقيقة لولاه لما عرفت من اين اذهب او اجيء لان المحل واسع ذو ممرات كثيرة . فبينه حتى اوصلني الى غرفة متوسطة الاتساع منقوشة على الزي اليوناني ومزدانة بصور مرسومة على حيطانها باجمل هيئة ومنارة بمصابيح مستنيرة في السقف ذات نور ساطع . وكانت فوستا جالسة على مقعد محاط بالمخدات وحالما رأتني قامت وسلمت علي ثانياً فقلت لها

— اخشى ان لا يروق لك لبسي يا هز بزتي فوستا ولكنني لست ملاماً لان ميلو لم يقدر ان يساعدني كفاية اذ شرب مقداراً كبيراً من النبيذ مع رفاقه . فما عاد يعي على شيء . فتكوني مسامحة في حكمك علي . لاني وحدي رتبت ملابسي

— لا يمكنني ان اقول ان ملابسك بلا ذوق ولكن ملابس التدمر بين تفوقها حسناً وعدماً ولا عجب في ذلك لان من صفاتنا حب الجمال والعظمة والترف وحقيقة الامر ان هذه

الصفات تقود الى الخراب . وما كنت اقصد بقولي لك ان تعتني بزينتك وملابسك الا المزاح والجد

= اري ايتها العزيزة ان اقامتك بعض الوقت في روما لم تسليك شيئاً من حبك لوطنك تدمر فلو كان البريق الذي يشع من عينيك لما تكلمين عن بلادك له شبه اثر في احسن مواطنيك لما جاز لك الخوف على بلادك من الخراب ولو انغمست في الترف اضعاف مما هي عليه الآن

= تأكد انه لا يوجد في هذه البلاد من يفوقني حماسة في المجازفة بالحياة حباً بالوطن و بالملكة زنوبيا . وثق بان الوفاء ومئات الالوف من مواطني يبذلون الارواح والمهج فداء الاستقلال وحباً بتدمر وجعل اسمها عالياً فحيث زنوبيا تقود جيشها تراني وترى كثيرات من مثيلاتي . تذكر هذا ولا تنسه

وما بلغت بمحدثيها الى هذا الحد حتى قاطعها صوت جريكوس ايها وهو داخل علينا من فسحة القصر يقول — كيف ! كيف . احقيقة ما نسمع اذني وترى عيني = لوسيوس بيزو ؟ اهذا انت حقيقة . مرحباً ! مرحباً ! مرحباً ! ثلاثاً . قدوم سعيد ! لقد وصلت حالاً على اثر كتابك . فنظرك يدل على انك بصحة جيدة فلا اسألك عن نفسك . ولكن لا يمكني ان اصبر كثيراً عن سماع اخبار الاقارب والاصدقاء انك بالطبع قد رويتم لفوستا . فجزاء لقدومك في غيابي يلزمك روايتها ثانياً . وها العشاء ينتظرنا فيمكننا التحادث ونحن نتناوله

= هكذا قابلني ابو فوستا الذي يعد من اركان دولة تدمر . وحقيقة اني لمعجب بكرمه ولطفه الرائع وهيئته الوقوره

وحكيت له اخبار روما معيداً اياها تلبية لطلبه . فكانا كلاهما — الاب وابنته = اذاناً صاغية لما كنت اقول . واني لا عجب من خلال فوستا . فانها اهتمت كثيراً لاقوالي السياسية والعمرانية عن روما مخالفة في عملها هذا ما تعودت عليه بنات جنسها من عدم حب الامور الجدية . فزادت في عيني اعتباراً وخصوصاً لما كانت تبدي افكارها باستقلال وحرية تامة . وان ليسرني ان اخبرك ان منظرها اثر في تاثيراً شديداً وهي تبحث في هذه الامور معنا وقد بدت عليها علامات اللطف والكبر الممزوجة بشيء من مظاهر العظمة والهيبة . وجملة القول ان منظرها منظر من خلق ليسوس العباد ويقودهـا . ولا نلوم باني احببتها . واصبحت من عبادها . لاني ما رويت لك هذه الامور عنها الا لاعتقادي